إختلاف المذاهب الكلامية في مسألة القضاء والقدر
- دراسة تحليلية مقارنة -

The difference between theological schools of thought on the issue of fate and destiny: a comparative analytical study

الطالبة

جوليت طالب عطية

Student:

Juliet Taleb Attia

بإشراف

أ. م. د. أحمد عبد الوهاب

Supervised by:

Asst. Prof. Dr. Ahmed Abdel Wahab

الجامعة العراقية / كلية العلوم الإسلامية قسم العقيدة والفكر الإسلامي

University of Iraq

College of Islamic Sciences Department

of Islamic Creed and Thought

الملخص

لقد سعت هذه الدراسة إلى إلقاء الضوء على التباينات الجوهرية في آراء المذاهب الكلامية حول مسألة القضاء والقدر، تلك القضية المحورية التي لطالما شغلت العقل الإسلامي. من خلال استعراض المناهج المختلفة، من الجبرية التي أفرطت في تعظيم القدرة الإلهية حتى ألغت إرادة العبد، مرورًا بالمعتزلة الذين غلوا في تنزيه الله حتى جعلوا العبد خالقًا لفعله، وصولًا إلى مذهب أهل السنة والجماعة الذي قدم رؤية وسطية متوازنة توفق بين كمال القدرة الإلهية وحرية الإنسان ومسؤوليته، اتضح لنا عمق هذا الخلاف وأهمية الفهم الصحيح.

Abstract:

This study seeks to shed light on the fundamental differences in the views of theological schools on the issue of predestination، a pivotal issue that has long preoccupied the Islamic mind. By reviewing the various approaches، from the Jabriyah، who exaggerated in their glorification of divine power to the point of nullifying human will، through the Mu'tazilah، who went to extremes in their transcendence of God to the point of making the human being the creator of his own actions، to the Sunni school، which presented a balanced، middle-of-the-road vision that reconciles the perfection of divine power with human freedom and responsibility، we become aware of the depth of this disagreement and the importance of a correct understanding.

المقدمة

تعد مسألة القضاء والقدر من أعقد وأعمق القضايا التي شغلت فكر المسلمين على مر العصور، وشكلت محورًا أساسيًا في النقاشات العقدية والفلسفية ضمن علم الكلام. تتناول هذه المسألة العلاقة بين إرادة الله المطلقة وحرية الإنسان واختياره. إن فهم هذه الاختلافات ليس مجرد تفصيل أكاديمي، بل هو ضرورة لفهم تطور الفكر الإسلامي وتأثيراته على الفرد والمجتمع.

وقد تناولت هذه المقدمة: عرض الموضوع، الهدف من البحث، المشكلة البحثية، المنهجية، الدراسات السابقة، هيكلية البحث وكما يأتي:

اولاً: عرض الموضوع

يتناول هذا البحث الاختلافات الجوهرية بين المذاهب الكلامية الرئيسية كالأشاعرة، المعتزلة، والماتريدية في فهم وتفسير مسألة القضاء والقدر. وسوف اعرض آراء كل مذهب، مستنده إلى نصوصهم الأساسية وحججهم العقلية والنقلية، مع التركيز على نقاط التلاقي والافتراق التي شكلت ملامح هذه المذاهب.

ثانياً: الهدف من البحث

يهدف هذا البحث إلى تحقيق عدة أهداف رئيسية:

١- توضيح الصورة الكاملة للاختلافات بين المذاهب الكلامية في مسألة القضاء والقدر، وتقديم تحليل شامل للمواقف المختلفة.

٢- تسليط الضوء على الآثار المترتبة على كل مذهب كلامي في فهم القضاء والقدر على الجوانب العقدية، الفقهية، والسلوكية للمسلم.

ثالثاً: المشكلة البحثية

تتمثل المشكلة البحثية الأساسية في كيفية التوفيق بين النصوص الشرعية الظاهرة في إثبات قدرة الله المطلقة وعلمه الشامل، وبين النصوص التي تؤكد على مسؤولية الإنسان وحريته في الاختيار. ينبثق من هذه المشكلة تساؤلات فرعية مثل: هل الإنسان مجبر على أفعاله؟ ما هو دور

الكسب عند الأشاعرة؟ وكيف يفسر المعتزلة خلق أفعال العباد؟ وما هو موقف الماتريدية من هذه المسائل؟ تتفاقم هذه المشكلة بسبب التعقيدات الفلسفية والمنطقية التي تفرضها محاولة الجمع بين هذين الطرفين.

رابعاً: المنهجية

سيعتمد هذا البحث على المنهج التحليلي النقدي المقارن. سيتم تحليل نصوص الأئمة والعلماء من كل مذهب، ومقارنة حججهم وأدلتهم، ستتضمن المنهجية ما يلي:

الاستقراء: تتبع آراء المذاهب المختلفة في كتبهم الأصلية.

التحليل: تفكيك الحجج وبيان مرتكزاتها.

المقارنة: إبراز نقاط الاتفاق والاختلاف بين المذاهب.

خامساً: الدراسات السابقة

تناولت العديد من الدراسات مسألة القضاء والقدر بشكل عام، أو تطرقت إليها ضمن سياقات أوسع في علم الكلام. من أبرز هذه الدراسات نجد: كتابات الدكتور عبد الرحمن بدوي في تاريخ الفكر الفلسفي في الإسلام، وتحقيقات الدكتور محمود قاسم حول الفرق الكلامية، كما توجد دراسات متخصصة تناولت آراء مذهب معين في هذه المسألة. ومع ذلك، يهدف هذا البحث إلى تقديم دراسة مقارنة مركزة وشاملة للاختلافات الجوهرية في القضاء والقدر بين المذاهب الكلامية الرئيسية، مع التركيز على الجوانب الإشكالية والتوفيقية، بما قد يسد ثغرة في الدراسات السابقة.

سادساً: هيكلية البحث

سيتم تنظيم هذا البحث في مبحثين:

المبحث الأول: مدخل الى مسألة القضاء والقدر

المطلب الأول: تعريف القضاء والقدر لغة و اصطلاحاً

المطلب الثاني: الأدلة الشرعية على القضاء والقدر

المطلب الثالث: مراحل الإيمان بالقدر

المبحث الثاني: اقوال المذاهب الكلامية في القضاء و القدر

المطلب الأول: موقف أهل السنة و الجماعة

المطلب الثاني: موقف الفرق الاخرى
المطلب الثالث: مقارنه بين الآراء
ثم الخاتمة و التوصيات.

التمهيد

ان هذه المسألة ليست مجرد قضية نظرية تُناقش في بطون الكتب، بل هي تلامس شغاف القلب والعقل، وتُؤثر بشكل مباشر على نظرة الفرد للحياة، وعلى سلوكه، وتعامله مع مصيره. وهل يعني القضاء والقدر سلب حرية الإرادة البشرية أن هذه التساؤلات وغيرها هي ما جعل المذاهب الفكرية المختلفة تتناول هذه المسألة بعمق، وتسعى لتقديم تفسيرات تُرضي العقل وتُطابق النصوص الشرعية، وأن هذا المدخل يهدف إلى تقديم لمحة عامة عن أهمية هذه المسألة، والسبب في كونها محورية في دراسة العقيدة الإسلامية وعلم الكلام.

المبحث الأول
مدخل الى مسألة القضاء والقدر

المطلب الاول: تعريف القضاء والقدر لغة واصطلاحاً

اولاً: القضاء لغةً واصطلاحاً

١-القضاء في اللغة:« قَضَى يَقضي قَضاءً وقَضيّةً أي حكم، وقَضَى إليه عهداً معناه الوصية، ومنه قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَوْتَ ﴾[١]،أي أتى وانقَضَى الشيء، أي فني وذهب»[٢].

٢-القضاء في الاصطلاح: «عبارة عن الحكم الكلي الإلهي في أعيان الموجودات على ما هي عليه من الأحوال الجارية في الأزل إلى الأبد»[٣].

القضاء: هو إيجاد الله تعالى الأشياء مع زيادة الإحكام والإتقان،أو هو إرادة الله الازلية المتعلقة بالأشياء على ما هي عليه فيما لايزال[٤].

ثانياً: القدر في لغة و اصطلاحاً

١-القدر في اللغة: «القدر: القاف والدال والراء أصل صحيح يدل على مبلغ الشيء ونهايته، فالقدر مبلغ كل شيء يقال قدره كذا، أي مبلغه وقدرت الشيء اقدره واقدره من التقدير، والقدر هو قضاء الله تعالى الأشياء على مبالغها ونهاياتها التي أرادها لها»[٥].

---

(١) سورة سبأ: جزء من الآية ١٤.

(٢) كتاب العين، الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري (ت:١٧٠هـ)،تح: مهدي المخزومي، إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، لبنان، بيروت،٥/١٨٥.

(٣) التعريفات، علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني (ت: ٨١٦هـ)،تح: مجموعة من العلماء، دار الكتب العلمية، لبنان، بيروت، (١٤٠٣هـ -١٩٨٣م)، ١٧٧.

(٤) ينظر: العقيدة الإسلامية ومذاهبها، قحطان عبد الرحمن الدوري، كتاب ناشرون، لبنان، بيروت، ط ٦ (١٤٣٧ هـ-٢٠١٦ م)، ٤١٦، لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية لشرح الدرة المضية في عقد الفرقة المرضية، شمس الدين أبو العون محمد بن احمد بن سالم السفاريني الحنبلي(ت:١١٨٨هـ)، مؤسسة الخافقين ومكتبتها، سوريا، دمشق، ط٢، (١٤٠٢هـ-١٩٨٢م)، ١/٣٤٥.

(٥) معجم مقاييس اللغة، أبو الحسين،أحمد بن فارس بن زكريا القزويني (ت: ٣٩٥هـ)، تح: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، لبنان، بيروت، ط١، (١٣٩٩هـ)، ٥/٦٢.

٢- القدر في الاصطلاح

القدر: «أيجاد الله تلك الاشياء بالفعل طبقا لعلمه الأزلي المتعلق بها، أو الحكم بوقوع الجزيئات لتلك الكليات على سبيل التفصيل»(١).

القدر عِنْدَ الْأَشَاعِرَةِ(٢):«هو أيجاد الله تعالى للأشياء على قدر مخصوص، وتقدير معين في ذواتها وأحوالها، طبق لما سبق به العلم وجرابه القلم»(٣).

المطلب الثاني: الأدلة الشرعية على القضاء و القدر

الأدلة الشرعية على القضاء والقدر تتجلى في آيات قرآنية وأحاديث نبوية، التي تؤكد أن الله تعالى خلق كل شيء بمقدار وقضى به وقدره، وأن الإيمان بالقدر خيره وشره هو من أركان الإيمان، كما ورد بالحديث الصحيح، حين جاء جبريل (عليه السلام) يسأل النبي ﷺ عن الإسلام والإيمان(٤)، يريد تعليم المسلمين أحكام دينهم.

---

(١) فتح الباري بشرح صحيح البخاري، الإمام الحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (٧٧٣ - ٨٥٢هـ)، تح: عبد العزيز بن عبد الله، رقم أبوابه: محمد فؤاد الباقي،دار المعرفة، لبنان، بيروت،(١٣٧٩هـ)،١٤٩/١١،كبرى اليقينيات الكونية، للبوطي،١٦٠.

(٢) الأشاعرة: فرقة كلامية إسلامية، تنسب الى أبي الحسن الاشعري: هو أبو الحسن علي بن إسماعيل، من ذرية أبي موسى الأشعري رضي الله عنه، ولد بالبصرة سنة (٢٧٠هـ) كان معتزلياً، ثم رجع من القول بالعدل وخلق القرآن، خالفوا المعتزلة في مسائل كلامية كثيرة منها: خلق القرآن، وخلق أفعال العباد،وغيرها، من رموز هذه المدرسة: أبو بكر الباقلاني (ت: ٤٠٣هـ)، أبو المعالي الجويني (ت: ٤٧٨هـ)، الغزالي (ت:٥٠٥هـ)،وغيرهم كثير.ينظر:الملل والنحل، ابو الفتح محمد بن عبد الكريم الشهرستاني،(ت:٥٤٨هـ)، تح: محمد سيد كيلاني، دار المعرفة، لبنان، بيروت، ط٢،(١٣٩٥هـ-١٩٧٥م)،٩٤/١-١٠٣.

(٣) لوامع الأنوار البهية، السفاريني،٣٤٥/١.

(٤) صحيح مسلم، للأمام أبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري(٢٠٦-٢٦١هـ)،ترتيب وترقيم:محمد فؤادعبد الباقي، دار أحياء الكتب العربية، مصر، القاهرة،كتاب الإيمان، باب بيان الإيمان والإسلام والإحسان والإيمان بالقدر،« عن ابن عمر بن الخطاب (رضي الله عنهم) قال بينما نحن عند رسول الله ﷺ ذات يوم إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب شديد سواد الشعر لا يرى عليه أثر السفر ولا يعرفه منا أحد حتى جلس إلى ﷺ فأسند ركبتيه إلى ركبتيه ووضع كفيه على فخذيه وقال يا محمد أخبرني عن الإسلام فقال رسول الله ﷺ الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ﷺ وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتصوم رمضان وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلا قال صدقت قال فعجبنا له يسأله ويصدقه قال فأخبرني عن الإيمان قال أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره قال صدقت»، رقم الحديث (٨)، ج٣٦/١.

اولاً: الأدلة من القرآن الكريم

قال تعالى: ﴿ٱلَّذِي خَلَقَ فَسَوَّىٰ ٢ وَٱلَّذِي قَدَّرَ فَهَدَىٰ ٣﴾(١).

وجه الدلالة:« أي قدر قدرا وهدى الخلائق إليه، وهي دليل إثبات قدر الله السابق لخلقه، وهو علمه الأشياء قبل كونها وكتابته لها قبل برئها»(٢).

ثانياً: الأدلة من السنة النبوية

قال رسول الله ﷺ:« «عن عبد الله بن عمرو بن العاص، قال: سمعت رسول الله (ﷺ) يقول كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة قال وعرشه على الماء»(٣).

المطلب الثالث: مراحل الإيمان بالقدر

يعد الإيمان بالقدر هو ركن أساسي من أركان الإيمان في الإسلام، ويتضمن عدة مراتب، يمر بها المسلم ليفهم ويستوعب هذا المفهوم العظيم وهي:

اولاً: مرتبة العلم: هذه هي المرتبة الأساسية والمنطلق لكل مراتب القدر. وتعني الإيمان بعلم الله (عز وجل) المحيط بكل شيء، وأن علم الله تعالى قد سبق كل كائن من خلقه، فقدر ذلك تقديراً محكماً مبرماً، ليس فيه ناقض، ولا معقب، وأنه علم ما كان، وما يكون، وما لم يكن كيف يكون، وأنه يعلم كل شيء بعلمه القديم المتصف به أزلاً وأبداً، قال تعالى: ﴿وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾(٤).

ثانياً: مرتبة الكتابة: وهي الإيمان بأن الله تعالى، بناءً على علمه الأزلي، قد كتب في اللوح المحفوظ مقادير كل شيء قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة، وما فيه قد قدر،فكل ما جرى ويجري وسيجري فهو مكتوب عند الله قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ إِنَّ ذَٰلِكَ فِي كِتَٰبٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾(٥).

---

(١) سورةالأعلى: الآية ٢-٣.

(٢) تفسير القرآن العظيم، عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي(ت:٧٧٤ هـ)،وضع حواشيه:محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، لبنان، بيروت، ط١، (١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م)،٤٤٦/٧.

(٣) صحيح مسلم، كتاب القدر، باب حجاج آدم وموسى (عليهما السلام)، رقم الحديث (٢٦٥٣)،ج٢٠٤٤/٤.

(٤) سورة الأنعام: الآية٥٩.

(٥) سورة الحج:الآية ٧٠.

ثالثاً: مرتبة الإرادة و المشيئة

وهي الإيمان بأن كل ما يجري في الكون يجري بتقدير وبمشيئة الله تعالى، ومشيئته تنفذ، لا مشيئة للعباد، إلا ما شاء الله لهم، فما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن، قال تعالى: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٢٩﴾(١).

رابعاً: مرتبة الخلق: أي أن الله خالق كل شيء هو الذي خلق الخلق بعلمه، وقدر لهم أقداراً وضرب لهم آجالاً، ولم يخف عليه شيء قبل أن يخلقهم، وعلم ما هم عاملون قبل أن يخلقهم، كما جاء في قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ٦٢﴾(٢) (٣).

(١) سورة التكوير: الآية٢٩.

(٢) سورة الزمر: الآية ٦٢.

(٣) ينظر: لقضاء والقدر، عمر بن سليمان بن عبد الله الأشقر العتيبي، دار النفائس للنشر والتوزيع، الأردن، ط١٣، (١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٥ م)، ١٠١-١٠٣.

التمهيد

بعد أن استعرضنا في المبحث الأول مفهوم هذه المسألة لغويًا واصطلاحيًا، ننتقل الآن إلى صلب الموضوع الذي يُشكل محور دراستنا: أقوال المذاهب الكلامية الرئيسية وتفسيراتها المختلفة لهذه القضية الشائكة، ولم تكن مسألة القضاء والقدر مجرد خلاف سطحي، بل كانت نقطة تباين عميقة بين الفرق الإسلامية، أدت إلى نشوء مدارس فكرية متكاملة، لكل منها أدلتها العقلية والنقلية، ومنهجها الخاص في فهم العلاقة بين إرادة الله الكونية الشاملة، وعلمه الأزلي المحيط بكل شيء، وبين كسب الإنسان واختياره ومسؤوليته الشرعية، إن دراسة أقوال هذه المذاهب هي رحلة فكرية تهدف إلى فهم الأصول التي بُنيت عليها هذه المواقف، وكيف سعت كل مدرسة إلى التوفيق بين النصوص الظاهرة التي تؤكد على قدرة الله المطلقة، وتلك التي تُثبت حرية الإنسان ومسؤوليته.

المبحث الثاني
اقوال المذاهب الكلامية في القضاء والقدر

المطلب الأول: موقف أهل السنة والجماعة

اولاً: رأي السلف الصالح يرى السلف الصالح أن القضاء والقدر هو علم الله تعالى الشامل المحيط بكل شيء، وأن كل شيء في الكون يجري بقضاء الله وقدره، وأن الله تعالى خالق أفعال العباد، وأن الله تعالى يريد الكفر من الكافر ويشاؤه، ولا يرضاه ولا يحبه، فيشاؤه كونا، ولا يرضاه دينا، وخالفو في ذلك القدرية والمعتزلة(١)،الذين زعموا أن الله شاء الإيمان من الكافر، ولكن الكافر شاء الكفر. فإنهم هربوا من شيء فوقعوا فيما هو شر منه، فإنه يلزمهم أن مشيئة الكافر غلبت مشيئة الله تعالى، فإن الله قد شاء الإيمان منه على قولهم والكافر شاء الكفر، فوقعت مشيئة الكافر دون مشيئة الله تعالى وهذا من أقبح الاعتقاد، وهو قول لا دليل عليه(٢).

١- أدلة السلف الصالح في القدر من القرآن

أ- أثبات علم الله الشامل وكتابته لكل شيء مرتبة العلم

قال تعالى: ﴿وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ٥٩﴾(٣).

---

(١) المعتزلة: فرقة إسلامية نشأت في أواخر العصر الأموي وازدهرت في العصر العباسي، وقد اعتمدت على العقل المجرد في فهم العقيدة الإسلامية لتأثرها ببعض الفلسفات المستوردة مما أدى إلى انحرافها عن عقيدة أهل السنة والجماعة. وقد أطلق عليها أسماء مختلفة منها: المعتزلة والقدرية والعدلية وأهل العدل والتوحيد. وأبرز الشخصيات: واصل بن عطاء(٨٠ هـ– ١٣١هـ) تلميذ الحسن البصري،القاضي عبد الجبار بن أحمد بن عبد الجبار الهمداني (ت: ٤١٤ هـ) اختلفت رؤية العلماء في ظهور الاعتزال، قالو أن سبب الاعتزال حصل نتيجة النقاش في مسائل عقدية دينية كالحكم على مرتكب الكبيرة، والحديث في القدر، ينظر: الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، مانع بن حماد الجهني، ٦٤/١ -٦٥-٦٦.

(٢) ينظر: شرح العقيدة الطحاوية، علي بن علي بن محمد بن أبي العز الدمشقي (ت:٧٩٢هـ)،تـح: عبد الله بن عبد المحسن التركي وشعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة،(١٤١٧هـ- ١٩٩٧م)،٣٢٢/١.

(٣) سورة الأنعام: الآية٥٩.

وقوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّ ذَٰلِكَ فِي كِتَٰبٍ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ٧٠﴾(١).

وجه الدلالة: أي قدر قدرا وهدى الخلائق إليه، وهذه الآيات دليل على إثبات قدر الله السابق لخلقه، وهو علمه الأشياء قبل كونها وكتابته لها قبل برئها(٢)

ب-أثبات مشيئة الله النافذة وخلقه للأفعال قال تعالى: ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَءَامَنَ مَن فِي ٱلْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنتَ تُكْرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُواْ مُؤْمِنِينَ ٩٩﴾(٣).

وجه الدلالة: ذكر الله تعالى لنبيه بقوله: ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ﴾، أي لو شاء ربك يا محمد ﴿لَءَامَنَ مَن فِي ٱلْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا﴾(٤)، لصدقوا أنك لي رسول، وأن ما جئتهم به وما تدعوهم إليه من توحيد الله وإخلاص العبودة له، حقٌّ، ولكن لا يشاء ذلك، لأنه قد سبق من قضاء الله قبل أن يبعثك رسولا أنه لا يؤمن بك، ولا يتّبعك فيصدقوك بما بعثك الله به من الهدى والنور، إلا من سبقت له السعادةُ في الكتاب الأوّل قبل أن تخلق السموات والأرض وما فيهن (٥).

ج- إثبات اختيار العبد ومسؤوليته قال تعالى: ﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ ٢٨﴾(٦).

هذه الآية تثبت للإنسان مشيئة في الاستقامة على سبيل الحق فيتبعه ويؤمن به أو عدم الاستقامة(٧).

٢ - أدلة السلف الصالح في القدر من السنة النبوية:

أ- قال رسول الله ﷺ: «عن عبد الله بن عمرو بن العاص، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة قال وعرشه على الماء»(٨).

---

(١) سورة الحج:الآية ٧٠.

(٢) ينظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ٤٤٦/٧.

(٣) سورة يونس: الآية ٩٩.

(٤) سورة يونس: جزء من الآية ٩٩.

(٥) ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، أبو جعفر، محمد بن جرير الطبري (٢٢٤ - ٣١٠هـ)، تح: محمود محمد شاكر، دار التربية والتراث،السعودية، مكة المكرمة، ٢١١/١٥.

(٦) سورة التكوير: الآية٢٨.

(٧) ينظر: جامع البيان، الطبري،٢٦٤/٢٤.

(٨) صحيح مسلم، كتاب القدر، باب حجاج آدم وموسى(عليهما السلام)،رقم الحديث(٢٦٥٣)،٢٠٤٤/٤.

ثانياً: رأي الاشاعرة تعتمد عقيدة الأشاعرة في القدر على فهم عميق للنصوص القرآنية، والتي يرون أنها تؤسس لمذهبهم في أن الله تعالى هو خالق كل شيء، بما في ذلك أفعال العباد، وأن العباد لهم كسب لهذه الأفعال حيث يرون أن أفعال الفرد الاختيارية مخلوقة الله تعالى،والكسب هو اقتران قدرة العبد بفعل الله، بمعنى: أن الإنسان إذا أراد أن يفعل فعلاً من الأفعال، فإن الله يخلق له في هذه اللحظة نفسها قدرةً على هذا الفعل، وهذه الأخيرة هي التي تكتسبه، لكنها لا تخلقه(١)،وعليه فإن الإنسان قد منحه الله قدرة كاسبة ليس لها تأثير في خلق الفعل، وإنما يفيض الله عليها هذه القدرة الحادثة، فتكتسب الفعل بقدرة الله، وهذا القصد هو مناط التكليف والثواب والعقاب، قال تعالى: ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ﴾(٢)، فالآية صريحة في إثبات الكسب والاكتساب لها. والقول بالكسب هو قول الإباضية(٣) الذين وافقوا الأشاعرة فقالوا: أفعالنا خلق الله (عز وجل)، وهي لنا اكتساب فنثاب وتعاقب على اكتسابنا لا على خلق الله أفعالنا، والقول بالكسب هو قول الماتريدية، ورأيهم هذا توسط بين الجبرية والمعتزلة(٤).

١- أدلة الاشاعرة في القدر من القرآن.

قال تعالى: ﴿قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَىٰنَا﴾(٥).

وجه الدلالة: ان الله تعالى بهذه الآية يشير الى أعلم عباده أن ما يصيبهم في الدنيا من الشدائد والمحن إن ذلك كله فعل الله تعالى، يفعل من ذلك ما يشاء لعباده ويبتليهم بالخير والشر، كله مكتوب في اللوح المحفوظ(٦).

---

(١) ينظر: العقيدة الإسلامية ومذاهبها، للدوري، مناهج الأدلة في عقائد الملة، ابن رشد، تح: محمود قاسم، مكتبة الانجلو المصرية، مصر، ط٢(١٩٦٤)، ١٠٨ – ١٠٩، أصول الدين، أبو منصور، عبد القاهر بن طاهر التميمي البغدادي (ت: ٤٢٩هـ)، مطبعة الدولة، تركيا، إستنبول،(١٣٤٦هـ– ١٩٢٨م)، ١٣٣– ١٣٤.

(٢) سورة البقرة: جزء من الآية ٢٨٦.

(٣) الإباضية: هم أصحاب عبد الله بن أباض، الذي خرج في إيام مروان بن محمد، فوجه اليه عبدالله ابن محمد بن عطية فقاتله بتباله قالوا: أن دار مخالفيهم من أهل الإسلام دار توحيد إلا معسكر السلطان فأنه دار البغي، ينظر: الملل والنحل، الشهرستاني، ١/ ١٣٤.

(٤) ينظر: العقيدة الإسلامية ومذاهبها، للدوري، ٤٢٤ - ٤٢٥.

(٥) سورة التوبة: جزء من الآية ٥١.

(٦) ينظر: عمدة القاري شرح صحيح البخاري، بدرالدين العيني أبومحمد محمود بن أحمد بن موسى(٨٥٥هـ)، دار إحياء التراث العربي، لبنان، بيروت،١٦٢/٢٣.

٢ - أدلة الاشاعرة في القدر من السنة النبوية:

قال رسول الله ﷺ: «رسول الله ﷺيقولون كل شيء بقدر قال وسمعت عبد الله بن عمر يقول قال رسول الله ﷺكل شيء بقدر حتى العجز والكيس أو الكيس والعجز»(١).

٣- الدليل العقلي عند الاشاعرة:

أ- أن فعل العبد ممكن في نفسه، وكل ممكن مقدور الله تعالى؛ لأن قدرته عامة شاملة ولا شيء مما هو مقدور لله، واقع بقدرة العبد لامتناع اجتماع المؤثرين على مقدور واحد(٢).

ب- لو كان العبد موجداً لأفعاله بالاختبار والاستقلال؛ لوجب أن يعلم تفاصيلها، ويستحيل على الإنسان أن يحيط بجميع وجوه الفعل، إذ تصدر منه أفعال في غفلته وذهوله، وهي على الانسجام والانتظام وصفة الإتقان والإحكام، والعبد غير عالم بما يصدر منه، فوجب أن يكون الصادر منه دالا على مخترع أي الله تعالى(٣).

ثالثاً: رأي الماتريدية(٤)

ترى الماتريدية أن القدر على وجهين أحدهما الحد الذي عليه يخرج الشيء وهو جعل كل شيء على ما هو عليه من خير أو شر من حسن أو قبح من حكمة أو سفه وهو تأويل الحكمة أن يجعل كل شيء على ما هو عليه ويصيب في كل شيء الأولى به كما جاء في قوله تعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ٤٩﴾(٥)، والثاني بيان ما عليه يقع كل شيء من زمان ومكان وحق وباطل وما له من الثواب والعقاب (٦)، قد وافقت الماتريدية الأشاعرة في إثبات القدر، وهم يقولون إن أفعال العباد كلها من الخير والشر مخلوقه لله تعالى، وإن الله (عز وجل) هو خالق أفعال الخير والشر وليس كما يزعم المعتزله أن العبد خالق فعل نفسه وهم يقولون إن أفعال العباد خلق الله، وكسب

(١) صحيح مسلم، كتاب القدر، باب كل شيء بقدر، رقم الحديث(٢٦٥٥) ،ج٤/٢٠٤٥.

(٢) دراسات في الفرق والعقائد الإسلامية، د.عرفان عبد الحميد، مطبعة الارشاد، العراق، بغداد، ط١ (١٣٨٧هـ – ١٩٦٧م)، ٢٦٧.

(٣) ينظر: دراسات في الفرق والعقائد الإسلامية، عرفان عبد الحميد، ٢٦٧.

(٤) الماتريدية: فرقة كلامية إسلامية تنتسب إلى الامام أبي منصور الماتريدي، قامت على استخدام البراهين والدلائل العقلية والكلامية في محاججة خصومها لأثبات حقائق الدين والعقيدة الاسلامية. ينظر: الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، د. مانع بن حماد الجهني، دار الندوة العالمية للطباعة والنشر، ط٤،(١٤٢٠هـ)،١/٩٥.

(٥) سورة القمر:الآية ٤٩.

(٦) ينظر: التوحيد، محمد بن محمد بن محمود، أبو منصور الماتريدي(ت: ٣٣٣هـ)،تح: فتح الله خليف، دار الجامعات المصرية،مصر،الإسكندرية، ٣٠٧.

من العباد واختيار منهم [١]، كما ويهدف المذهب الماتريدي إلى التوفيق بين النصوص الشرعية التي تُثبت قدرة الله المطلقة على كل شيء (والتي قد تُفهم على أنها جبر)، وبين النصوص التي تُثبت مسؤولية الإنسان وحريته (والتي قد تُفهم على أنها تفويض) فهم يقولون: ليس جبرًا محضًا: لأن للعبد قدرة حقيقية على الاختيار والكسب، وليس تفويضًا محضًا: لأن الله هو الخالق لكل شيء، ولا يخرج شيء عن مشيئته وخلقه،إنما هو كسب يكتسب به العبد الفعل، والله هو الذي يخلق هذا الفعل.

١- أدلة الماتريدية في القدر من القرآن

قال تعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيۡءٍ خَلَقۡنَٰهُ بِقَدَرٖ ٤٩﴾[٢].

وجه الدلالة:وأن من الحكمة أن يجعل الله كل شيء على ما قدره[٣].

٢- أدلة الماتريدية في القدر من السنة النبوية:

حديث جبريل (عليه السلام) في أركان الإيمان:« عن ابن عمر بن الخطاب (رضي الله عنهما) قال:.... قال فأخبرني عن الإيمان قال أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره قال صدقت»[٤].

٣- الدليل العقلي عند الماتريدية:

أ- الجمع بين العدل الإلهي وحرية الاختيار: ترى الماتريدية أن مذهبهم هو الذي يجمع بين إثبات كمال قدرة الله ومشيئته الشاملة،وإن أفعال العباد كلها من الخير والشر مخلوقه لله تعالى، وإن الله (عز وجل)هو خالق أفعال الخير والشر وبين عدله في محاسبة العباد، إذ لا يعقل أن يحاسب الله العبد على فعل هو مجبر عليه تمامًا.

ب- الضرورة الحسية: فالإنسان يدرك بالضرورة الحسية أنه يختار بين الفعل والترك، ويميز بين بين الحركات الاختيارية الإرادية (كالبطش) ونحوه، وبين الحركات اللإرادية (كالارتعاش) ونحوه، والعبد يثاب على الطاعات الاختيارية، ويعاقب على المعاصي الاختيارية كذلك[٥].

---

(١) ينظر: حوار مع اشعري ويليه الماتريدية، محمد بن عبد الرحمن الخميس، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، السعودية،الرياض، ط١(١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م)،١٦٠.

(٢) سورة القمر:الآية ٤٩.

(٣) ينظر: التوحيد، الماتريدي،٣٠٧.

(٤) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان الإيمان والإسلام والإحسان والإيمان بالقدر، رقم الحديث (٨) ،ج٣٦/١.

(٥) ينظر: حوار مع اشعري ويليه الماتريدية، محمد بن عبد الرحمن الخميس، ١٦٠.

المطلب الثاني: موقف الفرق الاخرى

اولاً: القضاء والقدر عند المعتزلة

قالوا ان امر الله تعالى وارادته متلازمان، فقد أراد الله ما كان من الاعمال خيرا ان تكون وامر بها، فهو يريد منا اقامة الصلاة وايتاء الزكاة وإن توحد الله تعالى ، أن الله تعالى عادل ولا يظلم، قالوا إن الله لا يمكن أن يخلق المعاصي في العباد ثم يعاقبهم عليها، فهذا ينافي العدل وأنه تعالى لا يريد المعاصي، ولا يريد الكفر والفسق والعصيان، ولا يأمر بها أي ان الله تعالى لا يشاء الشر ولا يريده ولا يأمر به بل هو من ارادة الانسان واختياره وفعله، وأن الله تعالى ليس في أفعال العباد المكتسبة صنع ولا تقدير، لا بإيجاد ولا بنفي، وأن العباد خالقون لا فعالهم مخترعون لها، الاختيارية بقدرة خلقها الله فيهم، وأن الانسان فاعل حر مختار يعمل بالقدرة الحادثة التي منحتها اياه العناية الالهية ويتصرف بها ويوجهها حسبما يريد، وهذه القدرة تصلح لفعل الضدين (الفعل والترك)، ورادو بذلك تنزيه الله تعالى عن الظلم، كما أنهم لم ينكروا العلم الازلي، فإن الله تعالى عندهم لم يزل عالما بكل ما يكون من أفعال خلقه لا تخفى عليه خافية، فلم يزل عالما بمن سيؤمن وبمن سيكفر(١).

١- أدلة المعتزلة في القدر من القرآن

قال تعالى: ﴿مَّا تَرَىٰ فِي خَلْقِ ٱلرَّحْمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٍۖ﴾(٢).

وجه الدلالة: إن الله نفى التفاوت عن خلقه، فلا يخلو إما أن يكون المراد بالتفاوت من جهة خلقه، أو من جهة الحكمة، ولا يجوز أن يكون المراد به التفاوت من جهة الخلقة؛ لأن في خلقه المخلوقات من التفاوت ما لا يخفى، فليس إلا أن المراد به التفاوت من جهة الحكمة (٣).

٢- أدلة المعتزلة في القدر من السنة النبوية:

عن علي أبن أبي طالب رضي الله عنه قال: «كان رسول الله ﷺ ذات يوم جالسا وفي يده عود ينكت به. فرفع رأسه فقال ما منكم من نفس إلا وقد علم منزلها من الجنة والنار قالوا: يا رسول الله فلم نعمل أفلا نتكل، قال لا. اعملوا. فكل ميسر لما خلق له»(٤).

---

(١) ينظر: دراسات في الفرق والعقائد الإسلامية، عرفان عبد الحميد، ٢٦١- ٢٦٢.

(٢) سورة الملك: جزء من الآية ٣.

(٣) ينظر: شرح الأصول الخمسة، القاضي عبد الجبار بن أحمد الأسد أبادي الهمداني المعتزلي(٣٢٠- ٤١٥هـ)، تح: فيصل بدير عون، مطبوعات جامعة الكويت، الكويت، ط١، (١٩٩٨ م)، ٧٨.

(٤) صحيح مسلم، كتاب القدر، باب كيفية الخلق الآدمي في بطن أمه، وكتابة وأجله وعمله وشقاوته وسعادته، رقم

٣- الدليل العقلي عند المعتزلة:

أ- اذا كان الله تعالى خالقا افعال عباده، وكان العباد لا فعل لهم، بطل التكليف الشرعي؛ لأن الشرع عبارة عن أوامر ونواه، وهما في مجموعهما طلب والطلب لابد ان تسبقه القدرة والحرية والاختيار، ولا الاصبح الطلب تكليفا بما لا يطاق(١).

ب- اذا لم يكن للإنسان حرية واختيار لم تبق لبعثة الانبياء فائدة ؛ اذ البعثة دعوة والدعوة لابد وان تسبقها الحرية والاختيار قولهم بالاختيار المطلق لأفعال العباد.

ثانياً: القضاء و القدر عند الجبرية(٢)

ذهبت هذه الفرقة بالقول بالجبر التام حيث نفوا القدرة والاختيار والإرادة عن الإنسان، وقالوا بأن الإنسان مُجبر على جميع أفعاله، فهم يقولون إن أفعال العباد هي أفعال الله مباشرة، والعبد ليس له فيها إلا مجرد الصورة الظاهرية، كما نفت مسؤولية العبد نتيجة لإنكارهم حرية العبد واختياره، يترتب على مذهبهم نفي مسؤولية العبد عن أفعاله، وبالتالي يصبح الثواب والعقاب الإلهي لا معنى لهما، وهذا يتنافى مع العدل الإلهي وحكمة التشريع وأن الله تعالى خلق في الإنسان أفعاله بنوعيها الاضطرارية والاختيارية التي يخيل إلى بعضهم أنها اختيارية، ونسبتها إلى الإنسان على سبيل المجاز (٣).

١- أدلة الجبرية في القضاء القدر من القرآن.

قال تعالى: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ﴾(٤).

وجه الدلالة: يستدل الجبرية بهذه الآية، حيث يقولون إنَّ الذي رَمَى في الحقيقة هو الله (عز وجل) ولكن النبي ﷺ ما رَمَى، وهي دليل واضح على أن الفعل الحقيقي هو فعل الله، وأن دور الإنسان مجرد وسيلة لا فاعل حقيقي(٥).

الحديث (٢٦٤٧) ،ج٤/٢٠٤٠.

(١) ينظر: دراسات في الفرق والعقائد الإسلامية، عرفان عبد الحميد، ٢٦٢.

(٢) الجبْرية: هي فرقة كلامية إسلامية اتباع الجعد بن درهم والجهم بن صفوان الراسبي، وهؤلاء الذين نفوا القدرة والاختيار والارادة عن الانسان، وقالوا بان الانسان مجبر على جميع افعاله فهو كريشه في مهب الريح،أي أن الإنسان مجبر عليها بقضاء الله وقدره. ينظر: الملل والنحل، الشهرستاني،١/ ٩٩.

(٣) ينظر: دراسات في الفرق والعقائد الإسلامية، عرفان عبد الحميد، ٢٥٥.

(٤) سورة الأنفال: جزء من الآية١٧.

(٥) ينظر: شرح العقيدة الطحاوية، بن أبي العز،٦٤١/٢.

٢- أدلة الجبرية في القدر من السنة النبوية

عن علي أبن أبي طالب (رضي الله عنه) قال: «كان رسول الله ﷺ ذات يوم جالسا وفي يده عود ينكت به. فرفع رأسه فقال ما منكم من نفس إلا وقد علم منزلها من الجنة والنار قالوا: يا رسول الله فلم نعمل أفلا نتكل، قال لا. اعملوا. فكل ميسر لما خلق له»(١).

٣ - ادلة الجبرية العقلية: ادلة الجبرية من العقل والشبه العقلية هو ما يزعمون أن دخول مقدور واحد تحت قدرة قادرين محال، اذ لا يتصور وجود فعل واحد من اثنين، واذا ثبتت لهم هذه القاعدة يقولون: لما دخلت الافعال تحت قدرة الباري (عز وجل) لما ترى من الدلائل، بل استحال دخولها تحت قدرة العباد، صاروا مضطرين مجبورين في ذلك كالشجرة في تحركها(٢).

ثالثاً: القضاء والقدر عند الشيعة الامامية(٣):قد تبنت الشيعة الأمامية موقفاً وسطياً يُعرف بـ الأمر بين الأمرين، وهو يرفض كلا من الجبر المطلق والتفويض المطلق، حيث ترفض الشيعة الأمامية القول بالجبرية الذين يرون أن الإنسان مسلوب الإرادة ومجبر على أفعاله، وأن الله قد قدر كل شيء أزلاً وخلقه، وبالتالي لا مسؤولية على الإنسان. كما ترفض القول بالتفويض المطلق الذي يرى أن الله فوض الأمر كله للإنسان، وبالتالي يخرج عن إرادة الله وعلمه، وإن أفعلنا من جهة هي افعالنا حقيقة ونحن اسبابها الطبيعية، وهي تحت قدرتنا واختيارنا من جهة أخرى هي مقدورة لله تعالى وداخلة في سلطانه؛ لأنه هو مفيض الوجود ومعطيه، فلم يجبرنا على أفعالنا حتى يكون قد ظلمنا في عقابنا على المعاصي؛ لان لنا القدرة والاختيار فيما نفعل، ولم يفوض الينا خلق أفعالنا حتى يكون قد أخرجنا عن سلطانه (٤).

---

(١) صحيح مسلم، كتاب القدر، باب كيفية الخلق الآدمي في بطن أمه، وكتابة وأجله وعمله وشقاوته وسعادته، رقم الحديث (٢٦٤٧)،٤/٢٠٤٠.

(٢) ينظر: تبصرة الادلة، النسفي، ٢/٨٤٤ – ٨٤٥.

(٣) الامامية: هم الذين بايعو الإمام علي(رضي الله عنه)، وقالوا بإمامته وخلافته نصا ووصية، إما جليا، وإما خفيا، واعتقدوا أن الإمامة لا تخرج من أولاده، وإن خرجت فبظلم يكون من غيره، أو بتقية من عنده وقالوا: الإمامة قضية أصولية، وهي ركن الدين وليست قضية مصلحية تناط باختيار العامة وينتصب الإمام بنصبهم. ينظر: مقالات الاسلامين واختلاف المصلين، أبو الحسن علي بن أسماعيل بن إسحاق بن سالم ابن إسماعيل بن عبد الله بن موسى بن أبي بردة بن أبي موسى الأشعري (ت: ٣٣٤هـ)، عني بتصحيحه، هلموت ريتر، دار فرانز شتايز، بمدينة فيسبادن(ألمانيا)،ط٣، (١٤٠٠هـ-١٩٨٠م)،١/٦٥، الملل والنحل، الشهرستاني،١/١٤٦- ١٤٧.

(٤) ينظر: عقائد الأمامية، الشيخ محمد رضا المظفر، مطبعة النعمان، العراق، النجف الأشرف، ط (١٣٨٨هـ-١٩٦٨م)،٤٤.

١- أدلة الشيعة الامامية في القضاء القدر من القرآن.

قال تعالى: ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ٥٩﴾[١].

وجه الدلالة: معنى الآية أن الله تعالى عالم بكل شيء من مبتدأ الامور وعواقبها فهو يعجل ما تعجيله أصلح وأصوب، ويأخر ما تأخيره أصلح و اصوب، وأنه الذي يفتح باب العلم لمن يريد إعلامه شيئا من ذلك من أنبيائه وعباده؛ لأنه لا يعلم الغيب سواه، فلا يتهيأ لاحد ان يعلم العباد ذلك، وبين أنه يعلم ما في البر والبحر من الحيوان والجماد. وبين أنه ما تسقط من ورقة من شجرة الا يعلمها ولاحبة في جوف الارض وفي ظلماتها الا ويعلمها. الا في كتاب مبين،أي ان يكون معناه في علم الله مبين[٢].

٢- أدلة الشيعة الامامية في القدر من السنة النبوية

عن علي أبن أبي طالب (رضي الله عنه) قال: « كان رسول الله ﷺ ذات يوم جالسا وفي يده عود ينكت به. فرفع رأسه فقال ما منكم من نفس إلا وقد علم منزلها من الجنة والنار قالوا: يا رسول الله فلم نعمل أفلا نتكل، قال لا. اعملوا. فكل ميسر لما خلق له»[٣].

٣- ادلة الشيعة الامامية العقلية: تعتمد الشيعة الامامية مبدأ العدل الإلهي وأن الله تعالى عادل حكيم، ولا يصدر منه ظلم أو عبث. فلو كان الإنسان مجبوراً على أفعاله، لما كان هناك معنى للمحاسبة والجزاء والعقاب والثواب، فكيف يحاسب الله تعالى الإنسان على فعل لم يكن له خيار فيه هذا يتنافى تماماً مع صفة العدل الإلهي، وقيام الثواب والعقاب في الآخرة دليل قاطع على وجود الاختيار [٤].

---

(١) سورة الأنعام: الآية٥٩.

(٢) ينظر: التبيان في تفسير القرآن، الشيخ أبي جعفر محمد بن الحسن الطوسي(٣٨٥-٤٦٠هـ)،تح: أحمد حبيب قصير العاملي، دار إحياء التراث العربي، لبنان، بيروت،١٥٥/٤.

(٣) صحيح مسلم، كتاب القدر، باب كيفية الخلق الآدمي في بطن أمه، وكتابة وأجله وعمله وشقاوته وسعادته، رقم الحديث (٢٦٤٧)،٢٠٤٠/٤.

(٤) ينظر: عقائد الأمامية، الشيخ محمد رضا المظفر،٤٣-٤٤.

المطلب الثالث: مقارنة بين الآراء

اولاً: مقارنة بين اهل السنة والمعتزلة

١- القضاء والقدر عند أهل السنة و الجماعة

يعتقد أهل السنة أن الإيمان بالقضاء والقدر ركن أساسي من أركان الإيمان الستة، كما و يُعتبر مذهبهم في القضاء والقدر مذهبًا وسطيًا يجمع بين إثبات قدرة الله الشاملة و إرادته النافذة، وبين إثبات حرية العبد واختياره ومسؤوليته عن أفعاله، حيث يقوم مذهبهم على أربع مراتب، وهي مرتبة العلم: هي أن نؤمن بعلم الله (عز وجل)المحيط بكل شيء، وأن علم الله تعالى قد سبق كل كائن من خلقه، وأنه يعلم كل شيء بعلمه القديم المتصف به أزلاً وأبداً، مرتبة الكتابة: هي أن تؤمن باللوح والقلم، وبجميع ما فيه قد قدر، فلو اجتمع الخلق كلهم على شيء كتبه الله تعالى في أنه كائن، ليجعلوه غير كائن، لم يقدروا عليه، ولو اجتمعوا كلهم على شيء لم يكتبه الله تعالى فيه ليجعلوه كائناً لم يقدروا عليه، فكل ما جرى ويجري وسيجري فهو مكتوب عند الله، مرتبة الإرادة والمشيئة: هي أن نؤمن أن كل شيء يجري بتقديره ومشيئته، ومشيئته تنفذ، لا مشيئة للعباد، إلا ما شاء الله لهم، فما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن لا يخرج عن إرادته شيء، مرتبة الخلق: أي أن الله خالق كل شيء، هو الذي خلق الخلق بعلمه، وقدر لهم أقداراً وضرب لهم آجالاً، ولم يخف عليه شيء قبل أن يخلقهم، وعلم ما هم عاملون قبل أن يخلقهم[١].

٢- القضاء والقدر عند المعتزلة

تركز المعتزلة على مبدأ العدل الإلهي وأن الله تعالى عادل ولا يظلم، قالوا إن الله لا يمكن أن يخلق المعاصي في العباد ثم يعاقبهم عليها، فهذا ينافي العدل وأنه تعالى لا يريد المعاصي، ولا يريد الكفر ولا يأمر بها، وأن الله تعالى ليس في أفعال العباد المكتسبة صنع ولا تقدير،ومع ذلك فانهم لم ينكروا العلم الازلي، فإن الله تعالى عندهم لم يزل عالما بكل ما يكون من أفعال خلقه لا تخفى عليه خافية [٢] وقد أدت هذه الآراء إلى أن المعتزلة يُعرفون بـ القدرية؛ لأنهم أثبتوا للعبد قدرة ذاتية ومستقلة على خلق أفعاله، وكأن العبد شريك لله في الخلق فيما يخص أفعاله. وهذا يتعارض مع شمولية قدرة الله ومشيئته المطلقة عند أهل السنة.

---

(١) ينظر: لقضاء والقدر، عمر بن سليمان بن عبد الله الأشقر العتيبي، دار النفائس للنشر والتوزيع، الأردن، ط١٣، (١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٥ م)،١٠١-١٠٣.

(٢) ينظر: دراسات في الفرق والعقائد الإسلامية، عرفان عبد الحميد، ٢٦١- ٢٦٢.

ثانياً: مقارنة بين مذهب أهل السنة والجماعة و الجبرية

١- القضاء والقدر عند أهل السنة و الجماعة

يعتقد أهل السنة أن الإيمان بالقضاء والقدر ركن أساسي من أركان الإيمان الستة، كما و يُعتبر مذهبهم في القضاء والقدر مذهبًا وسطيًا يجمع بين إثبات قدرة الله الشاملة وإرادته النافذة، وبين إثبات حرية العبد واختياره ومسؤوليته عن أفعاله، حيث يقوم مذهبهم على أربع مراتب، وهي مرتبة العلم: هي أن نؤمن بعلم الله (عزو جل)المحيط بكل شيء، وأن علم الله تعالى قد سبق كل كائن من خلقه،وأنه يعلم كل شيء بعلمه القديم المتصف به أزلاً وأبداً، مرتبة الكتابة: هي أن تؤمن باللوح والقلم، وبجميع ما فيه قد قدر، فلو اجتمع الخلق كلهم على شيء كتبه الله تعالى في أنه كائن، ليجعلوه غير كائن، لم يقدروا عليه، ولو اجتمعوا كلهم على شيء لم يكتبه الله تعالى فيه ليجعلوه كائناً لم يقدروا عليه، فكل ما جرى ويجري وسيجري فهو مكتوب عند الله، مرتبة الإرادة والمشيئة: هي أن نؤمن أن كل شيء يجري بتقديره ومشيئته، ومشيئته تنفذ، لا مشيئة للعباد، إلا ما شاء الله لهم، فما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن لا يخرج عن إرادته شيء، مرتبة الخلق: أي أن الله خالق كل شيء، هو الذي خلق الخلق بعلمه(١).الخلاصة رأي أهل السنة أن الإنسان مخير في أفعاله التي يدركها باختياره، وهو مسؤول عنها ويثاب عليها أو يعاقب، ولكن هذا التخيير لا يعني أن العبد مستقل عن إرادة الله أو خارج عن قدرته الكلية. فمشيئة العبد لا تخرج عن مشيئة الله الشاملة، كما قال تعالى: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٢٩﴾(٢)،هم يفرقون بين إرادة العبد للفعل، وخلق الله لذلك الفعل.

٢- القضاء والقدر عند الجبرية

ذهبت هذه الفرقة بالقول بالجبر التام حيث نفوا القدرة والاختيار والإرادة عن الإنسان، وقالوا بأن الإنسان مُجبر على جميع أفعاله، فهم يقولون إن أفعال العباد هي أفعال الله مباشرة، والعبد ليس له فيها إلا مجرد الصورة الظاهرية، كما نفت مسؤولية العبد نتيجة لإنكارهم حرية العبد واختياره، يترتب على مذهبهم نفي مسؤولية العبد عن أفعاله، وبالتالي يصبح الثواب والعقاب الإلهي لا معنى لهما، وهذا يتنافى مع العدل الإلهي وحكمة التشريع وأن الله تعالى خلق في الإنسان أفعاله

(١) ينظر: لقضاء والقدر، عمر بن سليمان بن عبد الله الأشقر العتيبي، دار النفائس للنشر والتوزيع، الأردن، ط١٣، (١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٥ م)،١٠١-١٠٣.

(٢) سورة التكوير: الآية ٢٩.

بنوعيها الاضطرارية والاختيارية التي يخيل إلى بعضهم أنها اختيارية، ونسبتها إلى الإنسان على سبيل المجاز [١].

وهذا يتعارض مع شمولية قدرة الله ومشيئته المطلقة عند أهل السنة الذين يرون أن الإنسان مخير بمعنى أنه يملك إرادة وقدرة حقيقية على الاختيار وفعل ما يشاء، وهو مسؤول عن أفعاله ومحاسب عليها. وفي الوقت نفسه، هو مسير في أن هذه الإرادة والقدرة لا تخرج عن علم الله ومشيئته وقدرته الكلية. فمشيئة العبد تابعة لمشيئة الله [٢].

ثالثاً: مقارنة بين الفرق الثلاثة في ضوء الكتاب والسنة

اولاً: أهل السنة و الجماعة

يمثل أهل السنة والجماعة التيار الأوسع والأكثر اعتدالًا في فهم القضاء والقدر. مذهبهم يجمع بين إثبات قدرة الله المطلقة وإرادته الشاملة، مع إقرار حرية العبد واختياره ومسؤوليته عن أفعاله، ويعتقد أهل السنة أن الإيمان بالقضاء والقدر ركن أساسي من أركان الإيمان

١. استدلهم من الكتاب

أ- أثبات علم الله الشامل وكتابته لكل شيء مرتبة العلم

قال تعالى: ﴿وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ٥٩﴾[٣].

ب-أثبات مشيئة الله النافذة وخلقه للأفعال قال تعالى: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ٢٩﴾[٤].

ج- إثبات اختيار العبد ومسؤوليته قوله تعالى: ﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ ٢٨﴾[٥].

---

(١) ينظر: دراسات في الفرق والعقائد الإسلامية، عرفان عبد الحميد، ٢٥٥.

(٢) ينظر: دراسات في الفرق والعقائد الإسلامية، عرفان عبد الحميد، ٢٥٥- ٢٥٦.

(٣) سورة الأنعام: الآية٥٩.

(٤) سورة التكوير: الآية٢٩.

(٥) سورة التكوير: الآية٢٨.

٢. استدلهم من السنة النبوية

قال رسول الله ﷺ: «عن عبد الله بن عمرو بن العاص، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة قال وعرشه على الماء»(١).

ثانياً: المعتزلة

لقد ركز المعتزلة بشكل كبير على مبدأ العدل الإلهي، مما دفعهم إلى المبالغة في إثبات حرية العبد، لدرجة أنهم جعلوه خالقًا لأفعاله. كما و ركزت المعتزلة على تنزيه الله تعالى عن الظلم.

١-استدلهم من الكتاب

قال تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَاۚ﴾(٢).

٢- استدلهم من السنة النبوية

عن أبي هريرة (رضي الله عنه) قال: «قال رسول الله ﷺ احتج آدم وموسى فقال موسى يا آدم أنت أبونا خيبتنا وأخرجتنا من الجنة فقال له آدم أنت موسى اصطفاك الله بكلامه وخط لك بيده أتلومني على أمر قدره الله علي قبل أن يخلقني بأربعين سنة»(٣).

ثالثاً: الجبرية

تعتبر الجبرية نقيض المعتزلة في مسألة القضاء والقدر، وذلك لأنهم بالغوا في إثبات القدرة الإلهية لدرجة أنهم ألغوا أي إرادة أو اختيار حقيقي للعبد، حيث يرون أن الإنسان مجبر على أفعاله فهو كالريشة في مهب الريح، وأن تعالى هو الفاعل الحقيقي لكل فعل يقع في الكون، ونفي مسؤولية العبد عن أفعاله، وبالتالي لا معنى للثواب والعقاب، ركزت الجبرية على تنزيه الله عن النقص في القدرة والخلق.

١- استدلهم من الكتاب

قال تعالى: ﴿وَمَا رَمَيۡتَ إِذۡ رَمَيۡتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ﴾(٤).

(١) صحيح مسلم، كتاب القدر، باب حجاج آدم وموسى (عليهما السلام)،رقم الحديث(٢٦٥٣)، ج٤/٢٠٤٤.

(٢) سورة البقرة: جزء من الآية ٢٨٦.

(٣) صحيح مسلم، كتاب القدر، باب حجاج آدم وموسى (عليهما السلام)، رقم الحديث(٢٦٥٢)، ج٤/٢٠٤٣.

(٤) سورة الأنفال: جزء من الآية١٧.

٢- استدلهم من السنة النبوية

عن عبد الله بن عمرو بن العاص (رضي الله عنه) قال: «سمعت رسول الله ﷺ يقول كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة»(١).

يتضح من هذه المقارنة أن أهل السنة والجماعة يسعون إلى تحقيق التوازن بين النصوص التي تصف قدرة الله المطلقة ومشيئته الشاملة، والنصوص التي تثبت حرية العبد ومسؤوليته، نزهوا الله تعالى عن الظلم أو الجور، وفي نفس الوقت نزهوه عن العجز. فأثبتوا مشيئته الشاملة وقدرته المطلقة على كل شيء، مع إثبات اختيار العبد ومسؤوليته، يرون أن هذا هو عين العدل والحكمة الإلهية، وهو ما يفسر تسميتهم (أهل الوسط) لأنهم يتخذون موقفًا متوازنًا ومعتدلًا بين الإفراط والتفريط في القضاء والقدر ويمثلون مسار التوفيق بين الجبر والاختيار، بينما جنح المعتزلة الذين أرادوا تنزيه الله عن الظلم أو القبح، فاعتقدوا أن الله لا يخلق الشر أو المعاصي. ولتنزيه الله من هذا، قالوا إن العبد هو الذي يخلق أفعاله الشريرة بنفسه، وإلا لو كان الله هو خالقها لكان الله ظالمًا، وهذا يتنافى مع عدل الله. من وجهة نظرهم، هذا التنزيه للعدل الإلهي يقتضي أن يكون العبد مستقلًا في خلق أفعاله، والجبرية الذين أرادوا تنزيه الله عن إسناد النقص والعجز إلى قدرته أو مشيئته، وعن أن يكون في ملكه ما لا يريده أو لا يخلقه، فبالغوا في إثبات قدرة الله الشاملة لدرجة أنهم نفوا أي اختيار حقيقي للإنسان، ورأوا أن هذا هو التنزيه الأكمل لله، لأنه لا يشارك الله أحد في فعله أو خلقه. من وجهة نظرهم، لو كان العبد يملك اختيارًا مستقلًا لخلق أفعاله، لكان ذلك ينقص من كمال قدرة الله، حيث ذهبوا إلى طرفي نقيض، كل بحسب أولويته في فهم النصوص الشرعية لتنزيه الله عز وجل..

(١) صحيح مسلم، كتاب القدر، باب حجاج آدم وموسى (عليهما السلام)، رقم الحديث (٢٦٥٣) ،٤/٢٠٤٤.

الخاتمة

لقد سعت هذه الدراسة إلى إلقاء الضوء على التباينات الجوهرية في آراء المذاهب الكلامية حول مسألة القضاء والقدر، تلك القضية المحورية التي لطالما شغلت العقل الإسلامي. من خلال استعراض المناهج المختلفة، من الجبرية التي أفرطت في تعظيم القدرة الإلهية حتى ألغت إرادة العبد، مرورًا بالمعتزلة الذين غلوا في تنزيه الله حتى جعلوا العبد خالقًا لفعله، وصولًا إلى مذهب أهل السنة والجماعة الذي قدم رؤية وسطية متوازنة توفق بين كمال القدرة الإلهية وحرية الإنسان ومسؤوليته، اتضح لنا عمق هذا الخلاف وأهمية الفهم الصحيح، ويمكن تلخيص أبرز النتائج والتوصيات ومقترحات الدراسة المستقبلية كما يلي:

أولاً: أهم النتائج

١- أظهرت الدراسة أن مذهب أهل السنة والجماعة في الأمر بين الأمرين يمثل حلاً وسطيًا متوازنًا، يقر بقدرة الله الشاملة على كل شيء مع إثبات إرادة العبد وكسبه ومسؤوليته.

٢- كشفت الدراسة عن التباين في فهم القضاء والقدر بين المذاهب (الجبرية، المعتزلة، أهل السنة والجماعة) وينبع هذا التباين من اختلاف الأولويات المنهجية؛ فالجبرية ركزت على تعظيم القدرة الإلهية المطلقة، والمعتزلة على تنزيه الله عن الظلم والعبث، بينما سعت أهل السنة للجمع بين نصوص الوحي الواردة في الجانبين.

ثانيًا: التوصيات

١- تبسيط وتعميق مفهوم الكسب الإنساني، وكيف أن إرادة العبد وقدرته على الفعل لا تتعارض مع مشيئة الله وقدرته المطلقة، وذلك من خلال الأمثلة الحسية والتبسيط اللغوي.

٢- التأكيد على أن الإيمان بالقضاء والقدر ليس دعوة للقعود أو اليأس، بل هو دافع للعمل الجوي، والأخذ بالأسباب، والسعي للإصلاح، مع اليقين بأن كل ذلك يقع ضمن إطار القدر الإلهي.

ثالثًا: مقترحات الدراسة المستقبلية

١- إجراء دراسة تحليلية مفصلة للنصوص القرآنية والحديثية التي استندت إليها كل فرقة، وكيفية تأويلهم لها، مع مقارنة ذلك بمنهج أهل السنة في الجمع والتوفيق.

٢- إجراء دراسة تاريخية مقارنة أعمق لتطور آراء المذاهب الكلامية في القضاء والقدر وتأثرها بالظروف السياسية والاجتماعية في كل عصر.

في الختام، أتمنى أن تكون هذه الدراسة قد أسهمت في إلقاء الضوء على واحدة من أهم المسائل العقدية، وأن تفتح آفاقًا لدراسات مستقبلية تعمق الفهم وتثري النقاش العلمي في هذا المجال الحيوي. فالطريق إلى اليقين في مثل هذه المسائل المعقدة يتطلب المزيد من البحث والتدبر.

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم.

١. أصول الدين، أبو منصور، عبد القاهر بن طاهر التميمي البغدادي (ت: ٤٢٩هـ)، مطبعة الدولة، تركيا، إستنبول،(١٣٤٦هـ– ١٩٢٨م).

٢. الأعلام، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي (ت: ١٣٩٦ هـ)،دار العلم للملايين، لبنان، بيروت، ط١٥،(٢٠٠٢ م).

٣. تاج العروس من جواهر القاموس، محمّد مرتضى الحسيني الزَّبيدي، تح: جماعة من المختصين، من إصدارات وزارة الإرشاد والأنباء في الكويت، الكويت، (١٣٨٥ - ١٤٢٢ هـ).

٤. التبيان في تفسير القرآن، الشيخ أبي جعفر محمد بن الحسن الطوسي(٣٨٥-٤٦٠هـ)،تح: أحمد حبيب قصير العاملي، دار إحياء التراث العربي، لبنان، بيروت.

٥. التعريفات، علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني (ت: ٨١٦هـ)،تح: مجموعة من العلماء، دار الكتب العلمية، لبنان، بيروت، (١٤٠٣هـ -١٩٨٣م).

٦. تفسير القرآن العظيم، عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي (ت: ٧٧٤ هـ)،

٧. التوحيد، محمد بن محمد بن محمود، أبو منصور الماتريدي(ت: ٣٣٣هـ)،تح: فتح الله خليف، دار الجامعات المصرية،مصر،الإسكندرية.

٨. جامع البيان عن تأويل آي القرآن، أبو جعفر، محمد بن جرير الطبري (٢٢٤ - ٣١٠هـ)، تح: محمود محمد شاكر، دار التربية والتراث، السعودية، مكة المكرمة.

٩. حوار مع اشعري ويليه الماتريدية، محمد بن عبد الرحمن الخميس، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، السعودية،الرياض، ط١(١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م).

١٠. دراسات في الفرق والعقائد الإسلامية، د.عرفان عبد الحميد، مطبعة الارشاد، العراق، بغداد، ط١ (١٣٨٧هـ – ١٩٦٧م).

١١. سيرة اعلام النبلاء، الأمام شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، (٧٤٨ هـ - ١٣٧٤ م) تح: محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة، لبنان، بيروت، ط٣، (١٤٠٥هـ – ١٩٨٥م).

١٢. شرح الأصول الخمسة، القاضي عبد الجبار بن أحمد الأسد أبادي الهمداني المعتزلي(٣٢٠- ٤١٥هـ)، تح: فيصل بدير عون، مطبوعات جامعة الكويت، الكويت، ط١، (١٩٩٨ م).

١٣. شرح العقيدة الطحاوية، علي بن علي بن محمد بن أبي العز الدمشقي (ت:٧٩٢هـ)،تح: عبد الله بن عبد المحسن التركي وشعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة،(١٤١٧هـ- ١٩٩٧م).

١٤. صحيح مسلم، للأمام أبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري(٢٠٦-٢٦١هـ)،ترتيب وترقيم: محمد فؤاد عبد الباقي، دار أحياء الكتب العربية، مصر، القاهرة.

١٥. عقائد الأمامية، الشيخ محمد رضا المظفر، مطبعة النعمان، العراق، النجف الأشرف، ط (١٣٨٨هـ-١٩٦٨م).

١٦. العقيدة الإسلامية ومذاهبها، قحطان عبد الرحمن الدوري، كتاب ناشرون، لبنان، بيروت، ط ٦ (١٤٣٧ هـ- ٢٠١٦ م).

١٧. عمدة القاري شرح صحيح البخاري، بدرالدين العيني أبومحمد محمود بن أحمد بن موسى (٨٥٥هـ)، دار إحياء التراث العربي، لبنان، بيروت.

١٨. فتح الباري بشرح صحيح البخاري، الإمام الحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (٧٧٣ - ٨٥٢هـ)، تح: عبد العزيز بن عبد الله، رقم أبوابه: محمد فؤاد الباقي،دار المعرفة، لبنان، بيروت، (١٣٧٩هـ).

١٩. القضاء والقدر، عمر بن سليمان بن عبد الله الأشقر العتيبي، دار النفائس للنشر والتوزيع، الأردن، ط١٣، (١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٥ م).

٢٠. كتاب العين، الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري (ت:١٧٠هـ)،تح: مهدي المخزومي، إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، لبنان، بيروت.

٢١. لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية لشرح الدرة المضية في عقد الفرقة المرضية، شمس الدين أبو العون محمد بن احمد بن سالم السفاريني الحنبلي(ت:١١٨٨هـ)، مؤسسة الخافقين ومكتبتها، سوريا، دمشق، ط٢، (١٤٠٢هـ-١٩٨٢م).

٢٢. معجم مقاييس اللغة، أبو الحسين، أحمد بن فارس بن زكريا القزويني (ت: ٣٩٥هـ)، تح: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، لبنان، بيروت، ط١، (١٣٩٩هـ).

٢٣. الملل والنحل، ابو الفتح محمد بن عبد الكريم الشهرستاني، (ت:٥٤٨هـ)، تح: محمد سيد كيلاني، دار المعرفة، لبنان، بيروت، ط٢،(١٣٩٥هـ-١٩٧٥م).

٢٤. مناهج الأدلة في عقائد الملة، ابن رشد، تح: محمود قاسم، مكتبة الانجلو المصرية، مصر، ط ٢ (١٩٦٤).

٢٥. الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، د. مانع بن حماد الجهني، دار الندوة العالمية للطباعة والنشر، ط٤، (١٤٢٠هـ).